نخب المقتطفات

القضاء

في عهد توت عنخ آمون

كان القضاء عند قدماء المصريين منزلا من السماء ، وقوة مستمدة من الآلهة يسهل الوصول اليها ، فقد كان في استطاعة كل فرد من أفراد الدولة أن يشغل منصباً فيه . وكانت الوظائف في القضاء وقتئذ بدون مقابل ، ومقيدة بتقاليد تجعل صاحبها لا يحيد قيد شعرة عن طريق العدل ، وأهمها حلف اليمين الذي له قيمة عندهم كبيرة الشأن اذ لا يقتصر القاضي على أن يتعهد ان يكون عادلا فقط بل يقطع على نفسه عهداً بأن يتخلى عن منصبه لئلا يصدر حكما مخالفاً للحق أو ماسا للعدل ، ولو كان ذلك تحت تأثير سلطة عالية

وأفضل رمز يمثلون به العدل في طيبه احدى عواصمهم المعروفة الآن بطيبا أن يصوروا القضاء بشكل رجال مقطوعي الايدي ورئيسهم بشكل رجل ضرير وهي بلا شك صورة ذات مغزى حسن تشير الى أن القاضي يجب الا تكون يداه عرضة للرشوة وعيناه هدفاً للمناظر المؤثرة التي تصبح عاملا من عوامل التحيز والاهواء

وقضت العادة عندهم بأن تكون المرافعة مقدمة بشكل « مذكرة » وليست شفهية كما هي الآن في أغلب الاحيان وذلك خشية من خلابة محامي أحد الطرفين تلك الخلابة التي من شأنها توليد اوجه التفضيل عند القاضي لاحد الخصمين والاجحاف بحق الخصم الآخر . ولكن هذا النظام لم ينل موافقة الجميع : لان

البعض كان يطعن فيه معتقداً كل الاعتقاد ان الدعوى الكتابية لا تكون واضحة كل الوضوح كما لو كانت المرافعة شفهية وعمومية لكي تحمل القاضي على أن يكون يقظاً في كل الادوار التي تمثل القضية . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان وجود الجمهور المستمع يصبح عائقاً بينه وبين التحيز ويحول دون تنفيذ ميوله والفكرة السائدة عند قدماء المصريين أن المحامي يدخل شيئاً من الغموض في دفاعه عن الدعوى وان في البيان وسحر الالباب ودموع التهم المتصنع ما يحمل القاضي على غض النظر عن بيان الحقيقة والابتعاد عن القانون . ولذلك كان السواد الاعظم يعتقد أن الحكم يكون اميل للعدل اذا اصدر كتابة بعد فحص القضية كتابة وسماع الدفاع كتابة كي يتجلى الواقع بحذافيره وكي لا تمتاز العقول الثقيلة على العقول السخيفة

رجال القضاء

رجال الدين الافضلية دون سواهم في الالتحاق بسلك القضاء . وظل الكهنة في الاشتغال بالقضاء منذ آلاف من السنين ، وعلى الاخص في العصور الوسطى حتى الثورة الفرنساوية

أما المحاكم فكانت تقام في كل بلدة وبجانبها محكمة عالية مؤلفة من ثلاثين عضواً مختارين بعدد نسبي بين الاعيان المومى عليهم في طيبة ومنفيس وهليوبولس . ومن اختصاصهم الحكم النهائي الذي لا يقبل تغييراً ولا تبديلا للمسائل الهمة وشيد اليونان في عهد « سولون » محكمتهم الكبرى على مثال محكمة مصر العليا

النيابة

يستفاد من مسلة موجودة الآن في معهد اللوفر بباريس أن هنالك وظيفة كانت تعرف بكاتب التسجيل أو كاتب المحكمة . ولفظها باللغة المصرية القديمة

« سيش جاجا » ومن مخصصاتها تدوين اقوال الشهود وتحقيق القضية وهي كما ترى من مهامها كوظيفة وكيل نيابة عندنا (مسيرو في كتابه المعروف بمحضر قضائي في طيبة)

ومما يؤيد ذلك أيضا « بردي » موجود في بلدة تورين بايطاليا ورسوم أثرية موجودة في بلدة بني حسن بمديرية أسيوط تفيد أن اهم وظيفة لاولئك الكتبة أخذ اقوال بعض الموظفين الذين كانوا شهوداً في احدى القضايا وفي بعض الاحوال كان التحقيق يدور بمعرفة أحد اعضاء المحكمة واذا لزم استجواب أحد المسجونين فيكلف ذلك قاض منتدب لهذا الغرض

الحكم

كان يصدر الحكم عند قدماء المصريين كتابة ، وكان يتلى في جلسة عمومية لاشهاره بين الجماهير . غير ان حكم الموت — لكي يدخل في دوره التنفيذي — يجب أن يعرض على الاعتاب الملكية للموافقة عليه وتعيين الجلاد المكلف الموت واليك بعض عقوباتهم :

١ — المدعي الكاذب اذا ثبت افتراؤه يعاقب نفس العقوبة التي أراد أن يجلبها للمفترى عليه

٢ — اليمين الكاذبة عقابها الموت كاكبر جريمة ترتكب ، وذلك خشية التلاعب بالذمم والاستخفاف بها في بلد كان الحكم فيه مبنياً على شهادة شهود

٣ — من يفشي سراً من أسرار الدولة يقطع لسانه

٤ — المزور والمزيف تقطع يداه

٥ — من يعتدي على عفاف امرأة يحكم عليه بان يستحيل عليه ارتكاب مثل هذه الجناية مرة ثانية

٦ — الزوجة الزانية يقطع أنفها وبذلك تحرم من رونق منظرها وجمالها الذي هو العامل الاساسي في هنوئها واغراء الرجال بها

٧ — اذا رأى أحد شخصاً يحاول اغتيال شخص وكان في استطاعته مد يد المساعدة لمنع هذا الاغتيال وابى أن يفعل يعد في هذه الحالة شريكاً للجاني ويحكم عليه بالموت

٨ — تقطع أيضاً يد التاجر الذي يتلاعب بالموازين والمكاييل أوراقاً رسمية والمستعمل الختاماً مغشوشة والحرف عقوداً

الغاء حكم الموت واستبداله باشغال شاقة

كان أحد الفراعنة المسمى « ساكوس » لا يعترف بحق تصرف الهيئة الاجتماعية في حياة الجاني والحكم بزوالها من هذا العالم . ولهذا استبدل عقوبة الموت باشغال شاقة مؤبدة أو موقتة حسب مقدار الجرم . فمدة توليه الحكم لم يصدر حكماً بالموت بل بالاشتغال في تحسين طرق البلاد . وبهذه الوسيلة اصبحت طرق المواصلات في عهده في حالة مرضية

وحذا حذوه الملك « افتمزانس » فلم يأمر بقتل المجرم ولكنه لم يدعه وشأنه بلا عقاب ولا رادع يعبث في الارض فساداً ويملأ البلاد شراً بل كان يجمع في وقت معين من السنة كل المجرمين ويفحص حالة كل منهم ويحكم بقطع أنف المذنب ويبعده الى الصحراء كنفي فكانت الصحراء المصرية في عهد الفراعنة كسيبريا في عهد القياصرة السالفين

***

هذه صورة مصغرة عن الاحكام عند قدماء المصريين التي كانت تطبق على الرعايا الاحرار . أما العبيد فكانت معاملتهم لهم على جانب ما من الشفقة والرحمة . والدليل على ذلك أن بعض المعابد كانت لهم بمثابة مأوى يمكنهم الاحتجاب فيها عن أسيادهم الذين أساءوا التصرف نحوهم . واذا بلغ سوء المعاملة

اقصاه أي الى جريمة القتل كان نصيب القاتل الموت . ومما يلفت النظر ايضاً أن السجن الاحتياطي كان معروفاً عندهم

بلاد هكذا كانت انظمتها تشمل من طرق التحليف افضلها ومن محاكم ابتدائية لصغار القضايا الصغيرة ومحكمة عالية للمسائل المبهمة ووكلاء نيابة وادوار تنفيذية عادلة وعقوبات لا تخرج عن حد المعقول ، أيجوز أن يقال عن أبنائها أنهم كانوا ومز الهمجية وعن العصور السالفة أنها مثال الوحشية

بلاد هكذا كانت بالامس من الوجهة القضائية واصبحت اليوم تلم بالعلوم القانونية الحديثة بل تضارع في هذا الميدان الامم الاوربية. وكما رأينا في الزمن الغابر ان سولون أنشأ محكمة اثينية على منوال محكمة مصر ففي الزمن الحاضر ارادت احدى البلدان الشرقية أن تقيم المحاكم بعد الحرب العظمى على طراز حديث وعلى جانب ملائم للعدل فوجدت في محاكمنا ما يصلح أن يكون نموذجاً حسناً الا يجوز لها بعد ذلك أن تطمح الى مركز سام في صفوف الشعوب الراقية ؟

يوسف حبيب
طالب آثار سنة ثانية
وموظف بمراجعة ايرادات ومصروفات الحكومة

البلاغة عند أهل الصناعة

تجمع قوم من أهل الصناعات فوصفوا بلاغتهم من طريق صناعتهم فقال الجوهري ـ احسن الكلام نظاماً ما ثقبته يد الفكرة ونظمته الفطنة ووصل جوهر معانيه في سموط الفاظه فاحتملته نحور الرواة

وقال العطار ـ اطيب الكلام ما عجن عنبر الفاظه بمسك معانيه ففاح نسيم نشته وسطعت رائحة عبقه فتعلق به الرواة وتعطر به السراة

وقال الصائغ — خير الكلام ما أحميته بكير الفكر وسبكته بمشاعل النظر

وخلاصته من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز في معنى وجيز

وقال الصيرفي — خير الكلام ما نقدته يد البصيرة وجلته عين الروية ووزنته بمعيار الفصاحة فلا نظر يزينه ولا سماع يبهجه .

وقال الحداد — أحسن الكلام ما نصبت عليه منفخة القريحة واشعلت عليه نار البصيرة ثم اخرجته من خم الاخلام ورفقته بقطيس الافهام .

وقال النجار — خير الكلام ما احكمت نجر معناه بقدوم التقدير ونشرته بمنشار التدبير فصار بابا لبيت البيان وعارضة لسقف اللسان

وقال النجاد — أحسن الكلام ما نطقت الفاظه وحسنت مطارح معانيه فتبرجت في زيي محاسنه عيون الناظرين واضاءت لمفارق بهجته اذان السامعين

وقال الصباغ — أحسن الكلام ما لم تنض بهجة اعجازه ولم تكشف صبغة اعجازه قد صقلته يد الروية من كمود الاشكال فراع كواعب الادب والف عذار الالباب

وقال الحائك — احسن الكلام ما اتصلت لحمة الفاظه بسدى معانيه فخرج مفوفا منيراً وموشى محبراً

وقال الجمال — البليغ من اخذ بخطام كلامه فاناخه في مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عقالا والايجاز له مجالا فلم يند عن الاذان ولم يشذ عن الاذهان

وقال الخمار — ابلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم وصفاه راووق الفهم وضمنه دنان الحكمة فنمشت في المفاصل عذوبته وفي الافكار رقته وفي العقول حدته

وقال الطبيب — خير الكلام ما اذا باشر دواء بيانه سقم الشبهة استطلقت طبيعة الغباوة فشفى من سوء الفهم واورث صحة التفهيم .

وقال الكحال — كما ان الرمد قذى الابصار فكذا الشبهة قذى البصائر فاكحل عين المكنة بميل البلاغة واجل رمض الغفلة بمرود اليقظة

(من كتب العرب)

أقوال وآراء في التقبيل

لكل شيء قانون على ما يظهر الا الغرام فانه مقدس فوق القوانين حتى في اميركا التي تتعرض أحكامها لكل حالة تقريباً فقد نقلت جرائد البريد الاخير عنها أن رجلا دخل الى منزله فوجد ابنته وهي في السادسة عشرة من عمرها واضعة رأسها على ركبة حبيبها ومطوقة عنقه بذراعيها فانتهرها وبخها وأمرها بالذهاب الى غرفتها فامتثلت ولكن بعد أن قبلت حبيبها قبلة الوداع فغضب الوالد ورفع دعوى على ابنته يطلب عقابها على هذا الفعل . فلما نظر القاضي في هذه الدعوى قال للرجل ان الركوع على ركبة المحبوب أمر تجيزه الشريعة وتؤيده العادات القديمة ولا تمنعه العادة المستحدثة ولقد طلبت من القانون اكثر مما يستطيع أن يعطيك اياه فاذهب

هذا ما حكم به القاضي ولعله على صواب بالقياس الى مألوف الغرام في كل زمان فان أبا نواس لم يكن يعتد ذلك حراماً فانه يقول :

جذبته لعناقي فانثنى خجلا وكاللت وجناه الخمر بالعرق
وقال لي برموز من لواحظه ان العناق حرام قلت في عنقي

وهذا الحكم في غاية الصواب كما أن البيتين في غاية الرشاقة

وقال البازجي في مثل ذلك :

ان كان قتل النفس غير محال قولوا لها فالوصل غير محرم

ولعل قاضي اميركا حكم بهذا البيت لانه وجد حرام الركوع على الركبة والتقبيل مانعاً لحرام أشد كأن يقتل أحد هذين العاشقين نفسه أو يبرح الغرام بكليهما إلى ما بعد الجرم فيه أشد من الجرم الاول

بل لقد كان المعري يعتبر هذه الحالة واجبة وجوباً دينياً ولذلك يقول

لغيري زكاة من جمال فان تكن زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

الا أنه في بعض أقواله كان ينحو نحو أهل الدين المتحفظين وفي ذلك يقول :

كم قبلة لك في الضمائر لم اضف فيها الحساب لانها لم تكتب

فكانه اعتبر التقبيل الحقيقي حراماً بخلاف التقبيل من توهم . الا انه اذا جاز أن يعد التقبيل جرما يعاقب عليه صاحبه فان أحد الشعراء يستحق السجن لمؤيد لقوله :

دنوت وقد أيدي الكرى منهما أيدي فقبلته في الخد تسعين أو احدى

وللشعراء أقوال كثيرة في التقبيل وكلها تجيزه حتى صار من جملة الشرائع وقد كان هذا القاضي الاميركي من متبعيها وكان من المنصفين

وعلى ذكر التقبيل لا بأس ان نذكر من قبيل الفكاهة شيئاً يسيراً عمن أجازوه وحرموه فمنهم ابو الحسن التهامي فانه كان من مجيزيه بقوله

وطاعنة برمح من نهود اسنة مثله الحلم الصغار

زرعت بخدها روضاً بلثمي ففي وجناتها منه اخضرار

كأن مواضع التقبيل فيه رماد جامد والخد نار

وهذا في غاية الحسن ولكنها المرة الوحيدة التي استباح التهامي فيها التقبيل لانه في سائر شعره كان يحرمه حتى من طريق التوهم والخيال وفي ذلك يقول

وأراد الخيال لثمي فصيرت لثامي دون المراشف سترا

ويقول أيضاً

فقبلتني توديعاً فقلت لها كفى فليس ارتشاف الخمر من شيمي

الا أن المتنبي يعد استاذ الجميع في تحريم التقبيل وفي ذلك يقول

وغضبى من الادلال سكرى من الصبى شفعت اليها من شبابي بريق

وأشنب معسول الثنيات واضح سترت فمي عنه فقبل مفرقي

ولم أر من يهوى يعف متى خلا عفافي ويرضى الحب والخيل تلتقي

يقول في البيت الثاني أن محبوبته أرادت أن تقبله بثغرها المعسول الواضح الثنيات فستر فمه عنها فقبلت مفرقه لانه يعتقد أن تقبيل الفم أو الخد خلاعة محرمة

واما تقبيل المفرق فاحترام مباح ومن هذا القبيل قول العامة في شتائها (اذا امتنع برس الخدود أبوس أيديك)

أما الوليد فقد كان يستحل التقبيل الى آخر حد كما يظهر من قوله

وقد ضمنا وشك التلاقي ولفنا ... عناق على أعناقنا ثم ضبق
فأحسن بنا والدمع بالدمع وامتزج ... تمازجه والخد بالخد ملصق
ومن قبل قبل النشاكي وبعده ... تكادها من شدة الوجد تشرق
فلو فهم الناس الفراق وحسنه ... لحبب من أجل التلاقي التفرق

وان الذي يتفقد شعره لا يجد فيه بيتاً واحداً يدل على عفافه كالمتنبي والنهامي بل هو يصل الى آخر حدود الخلاعة المقبولة حتى أنه لو بعث الآن وعينوه قاضياً في أميركا لسمح بالتقبيل في الشوارع . الا أن اجماع الشعراء وسواهم واقع على تحليل التقبيل الا في بلادنا فانها لم تصل بعد الى هذه الدرجة مع أن اكثر الذين حللوا التقبيل كانوا من شعرائنا ولعل القضية الاميركية لو رفعت الى أحد قضاتنا لعدها قلة أدب والله يعلم بمكان حكمه من الصواب

(للمرحوم الشيخ أمين الحداد)

شذرات

الطلبة منذ مائة عام

ننقل للقراء شيئاً من لائحة جامعتي تورين وجنوى في سنة ١٨٢٢ ليرى القراء كيف كان التشديد على سلوك الطلبة واخلاقهم منذ مائة عام لتقارن بين ذلك العهد وبين حالة الطلبة اليوم :

« غير مسموح للطلبة ان ينزلوا بفنادق وان يتناولوا الطعام من المطاعم